آيَاتُ الْغَدِيرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيّةٌ

م.م. أحمد موفق مهدي

جامعة البصرة / كلية التربية للبنات قسم اللغة العربية

Verses of Al-Ghadir in the Noble Qur'an, an analytical reading

Ahmed Mowaffaq Mahdi

University of Basrah

ah1990mg1990@gmail.com

الملخص

غديرُ خم مِن الأحاديث المتواترة التي سمع بها القاصي والداني من الطائفة الإسلامية، فهو حديث الدعوة الإلهية، حديث أكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الله تعالى للدين الذي أنزله على رسولنا الكريم، فهذا حديث لا غبار عليه، فواقعةُ الغدير غير خافية على أحدٍ من المعاندين والمحبين، فقد أُجمع على أنَّ الرَّسولﷺ عَزَمَ على الخروج إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة، وأذَّنَ في النَّاسِ بذلك، فجاءَ مِن المدينةِ جمعٌ غفيرٌ يأتمون به في حجته تلك التي سميت بحجةِ الوداع، وخَرَجَ معه جموع لا يعلمها إلَّا الله وإنْ حاول بعض المؤرخين إحصاء هذه الجموع لكن دون جدوى.

فحاولتُ في هذا البحث المتواضع أنْ أُسلط الضوء على الآيات القرآنية التي نزلت في هذه الواقعة، مِن حيث سبب ومكان وزمان نزول الآية، التفاسير للآية، مفردات الآية ومعانيها، تحديد معاني بعض الألفاظ مثل: لفظة (اليوم) ودلالتها لاختلاف المفسرين فيها، معتمداً في ذلك كلّه على تظافر المعنى والقرائن السياقية للآيات القرآنية وأسباب نزولها، فضلاً عن تفنيد الآراء التي تُحايد الصواب وترجيح الرأي الصائب.

واقتضت طبيعة البحث أنْ يستقر على ثلاثة مباحث سبقتها مقدمة حول واقعة غدير خم، وخاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

تناولتُ في المبحث الأوَّل (الآية:٦٧) من سورة المائدة، ودرستُ في المبحث الثاني: (الآية:٣) من سورة المائدة، وتَمَّ التأكيد في المبحث الثالث على أحقية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بالولاية في ضوء الآية الأُولى من سورة المعارج.

وقد اعتمدتُ في هذا البحث على مصادر ومراجع عدّة، تمثلت بكتب التفسير من المذاهب كافة، وكتب اللغة، والمعجمات العربية.

الكلمات المفتاحية: آيات الغدير – القرآن الكريم – قراءة تحليلية – آية التبليغ – آية الإكمال.

Abstract

Ghadeer-Khum is one of the Motwater/frequent hadith which was known by near and far inside the Islamic nation. It is indeed a hadith for divine call, hadith of perfection of faith, completion of grace, and satisfaction of Allah for the religion which He revealed to our noble prophet, and therefore it is an indisputable hadith, because the event of Al-Ghadeer if known to everyone among the adversaries and the believers of the event.

It was unanimously agreed that the Messenger may Allah's blessings and peace be upon him and his family decided to go for Hajj on the tenth year of Hijri Islamic calendar, and proclaimed to the people the hajj, and great number of Al-Medina citizens followed him on the journey to the hajj which was called the Farewell Hajj. Also, unknown number of groups of people joined him that no one except Allah Almighty knows their amount. Some historians have tried to count these masses, but in vain.

Therefore, I tried in this humble search to spot the light on the Quran verses which were revealed on this occasion, considering the reason, place, and time of the verse revelation, interpretations of the verse, words of the verse and their meanings, and determining meanings of some special words like; the word (Alyawm اليـوم : today) and its significance

due to the different interpretations of it, using the synergy of meaning and contextual evidence of the Quranic verses and the reasons for their revelation, as well as refuting the opinions that against the rightful facts and strengthen the right opinion.

The nature of the research necessitated to base the search on three topics starting with introduction about the event of Ghadeer-Khum, and a conclusion included the most important findings of the search.

In the first topic I discussed the (verse: 67) from Surat Al-Ma'idah, and in the second topic I studied: (verse: 3) from Surat Al-Ma'idah.

In the third topic emphasis on the entitlement of the Commander of the Faithful Imam Ali peace be upon him to Alwelayah/rule using of the first verse of Surat Al-Maarij.

On this search I have relied on several resources and references represented by books of interpretation of all schools of thought, language books, and Arabic dictionaries.

keywords:

Verses of Al Ghadeer - the Noble Quran - Analytical Reading - Verse of proclaim/altableegh - Verse of Completion.

المقدمة

إنَّ مَنْ أحاطَ علماً بسيرةِ الرَّسولﷺ، عندمَا أسَسَ الدولة الإسلامية وتشريع أحكامها، وتمهيد أُسسها وقواعدها، وسنَّ قوانينها، وتنظيم شؤونها مِن لَدُن عليمٍ خبيرٍ، يجد علياًعليه السلام وزير رسول الله في أمرهِ، وظهيره على عدوهِ، وعيبة علمهِ، ووارث حُكمهِ، ووليّ عهده، وصاحب الأمر من بعدهِ، فعليٌّ نفس رسول اللهﷺ، فهو الذي وقف على أقوالِ وأفعالِ ابن عمِّه المصطفىﷺ، في حلِّه وترحاله، والمتتبع لهذا يجد نصوصاً كثيرة في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره الشريف.

ومنها ما كان في بدء الدعوة الإسلامية قبل ظهور الإسلام بمكة، حين أنزل الله تعالى على رسوله الأعظم محمّدﷺ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]، دعاهم إلى دار عمِّه أبي طالب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فقال رسول الله: «**يا بني عبد المطلب إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤازرني على أمري هذا؟ على أنْ يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟**»، فأحجم القوم عنها غير عليٍّعليه السلام – وكان أصغرهم – إذ قام فقال: «**أنا يا نبيَّ الله أكونُ وزيركَ عليه**»، فأخذَ رسول اللهﷺ برقبته، وقال: «**إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمركَ أن

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

تسمع لابنكَ وتطيع[1].

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاءَ لعليِّ بن أبي طالب[2].

وقال ابن عباس: ما نَزَلَ في أحدٍ من كتاب الله ما نزل في عليٍّ عليه السلام...، نزل في عليٍّ ثلاثمئة آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ...، ما أنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلَّا وعليٌّ أميرُها وشريفُها[3].

ومن هذه الفضائل التي ذُكرت بحق عليِّ بن أبي طالب عليه السلام فضيلة الولاية، عن زيد بن أرقم قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم تحت شجرات، فقال: «**أيُّها النَّاس يُوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنِّي مسؤول،وإنَّكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: «**أليس تشهدون أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنَّته حق، وأنَّ ناره حق، وأنَّ الموتَ حق، وأنَّ البعثَ حق بعد الموت، وأنَّ الساعة آتية لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعث مَن في القبور؟**»، قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: «**اللهمَّ اشهد**»، ثُمَّ قال: «**يا أيُّها النَّاس إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أَولى بهم مِن أنفسهم، فَمَن كنت مولاه، فهذا مولاه -يعني علياً- اللهمَّ والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه**» ثُمَّ قال: «...**وإنِّي سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ، سبب طرفه بيدِ الله تعالى، وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهلُ بيتي فإنَّه قد نبأني**

(١) ينظر: تاريخ الأُمم والملوك، محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ): ٢/ ٢١٧، الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري: ٢/ ٢٢، تاريخ أبي الفداء: ١/ ١١٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: ٣/ ١٠٧.

(٣) المراجعات، عبد الحسين شرف الدين: ١٩٨.

اللطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتى يَردا عليَّ الحوض»[1].

في ضوء ما تقدم يتبيَّن أنَّ حديث الغدير كان محلَّ الاهتمام مِن الله تعالى، إذ أوحاه الله إلى رسولهﷺ وأنزل فيه ذكراً يُرتله المسلمون آناء الليل وأطراف النَّهار، وهذا الذكر هو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2]، فلماَّ بَلَّغَﷺ رسالة ربِّه بتنصيب الأمير عليٍّعليه السلام خليفةً له، ووليّاً وإماماً للمسلمين، أنزل الله تعالى على رسوله ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[3]، فإذا كانت عناية الله عزَّ وجلَّ على هذه الشاكلة فإنَّ عناية رسولهﷺ تكون على غرارها فإنَّه لمَّا دنا أجله، ونُعِيت له روحه الشريفة، أجمع بأمرٍ من ربِّه على أنْ ينادي بولاية أمير المؤمنين في الحجِّ الأكبر على رؤوس الأشهاد، فأذَّن في النَّاس قبل الموسم بأنَّه حاجٌ إلى بيت الله الحرام في هذا العام، فتوافد البشر عليه مِن كلِّ بقاع الأرض، فخرج معه إلى الحج نحو مئة ألف أو يزيدون، فلمَّا كان يوم الموقف بعرفات نادى رسول اللهﷺ بالنَّاسِ: «**عليٌّ مني وأنا من عليٍّ**».

ولمَّا رَجَعَﷺ مِن مكّة إلى المدينة مع تلك الألوف وبلغوا وادي خم، هبط عليه الروح الأمين جبرئيل بآية التبليغ من الله تعالى، فحطَّ رسول اللهﷺ رحله حتى لحقه من تأخر عنه من النَّاس وَرَجَعَ إليه من تقدمه منهم، فلمَّا اجتمعوا صلَّى بهم الفريضة ثمَّ خطب بهم، فصدع بالنَّص في ولاية أمير المؤمنين عليٍّعليه السلام[4].

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٠٩

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) ينظر: الغدير في الكتاب والسُنَّة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت١٣٩٢هـ): ١/ ٢١٤.

وقد ذُكِرَ في كتاب المراجعات (أنَّ رسول الله نعى إليهم نفسه الزكية تنبيهاً إلى أنَّ الوقت قد استوجب تبليغ عهده، واقتضى الأذان بتعيين الخليفة من بعده، وأنَّه لا يسعه تأخير ذلك مخافةً أن يُدعى فيُجيب قبل إحكام هذه المهمّة التي لا بُدَّ له من إحكامها ولا غنى لأُمَّته عن إتمامها، ولمَّا كان عهده إلى أخيه ثقيلاً على أهل التنافس والحسد والنفاق، أراد رسول الله ﷺ قبل أن ينادي بذلك أنْ يتقدم في الاعتذار إليهم تأليفاً لقلوبِهم وإشفاقاً من معرَّة أقوالهم وأفعالهم، فقال: «**وإنِّي مسؤول ليعلموا أنَّه مأمور بذلك، ومسؤول عنه من ربِّ العزَّة فلا سبيل له إلى تركه**»[1].

وقِيلَ: نزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يوم غدير خم في عليِّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

(١) المراجعات: ٢٠٢.

(٢) ينظر: أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ١/ ١٥٠.

المبحث الأوّل: آية التبليغ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

هذه الآية من أواخر الآيات التي نزلت من القرآن الكريم على المصطفى الأمينﷺ، عندما كانﷺ راجعاً إلى المدينة المنورة بعد أنْ حجَّ حجَّته الأخيرة التي سُمِّيت بحجة الوداع، وعند إكمال مناسك هذه الحجَّة رَجَعَﷺ إلى المدينة المنورة، وعندما بَلَغَ مكان يقال له (غدير خُم) الذي يقع في مفترق طرقات، نزلت عليهﷺ آية التبليغ، فأمرﷺ مَن معه بالتوقف وانتظار من تَخلَّفَ عنهم ورجوع من سَبَقَهُم، إذ أرَادَﷺ أن يتجمعوا جميعهم من دُونَ استثناء، ثمَّ وقف فيهم مُعلنًا بتنصيب الإمام عليِّ بن أبي طالبؑ خليفةً وإماماً من بعده، فقالﷺ مقولته المشهورة: «**مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وَالِ مَن وَلاَه وعَادِ مَن عَادَاه...**»[1]، وبعد ذلك أمر رسول اللهﷺ بمُبايعة الإمام عليِّ بن أبي طالبؑ على أنَّه أمير للمؤمنين وخليفة رسول اللهﷺ، فبايعه كلُّ مَنْ حَضَرَ، ومِنْ أبرزهم أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب[2]، إذ قال عمر بن الخطاب في هذه المناسبة: (بَخٍ بَخٍ لك يا عليُّ،

(١) المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي: ٧/ ٥٠٣، باب فضائل عليّ بن أبي طالبؑ، ينظر: مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (المتوفى٢٤١هـ - ٨٥٥ م):٤/ ٢٨١.

(٢) مسند أحمد: ٤/ ٢٨١.

أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة)[1].

وهذه الآية من أهم الآيات التي يُستدلُّ بها على أحقِّية الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة والإمامة بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله.

مفردات الآية ومعانيها

* ﴿ يَـٰٓ ﴾: حرف نداء يستعمل لكلِّ مُنادى، قريباً كان أو بعيداً أو متوسطاً، ويُستخدم للقريب ليُفيد معنى التوكيد على أهمية ما بعدها[2]، وهذا النداء من الله جلَّ جلاله يَدلُّ على قُربِ المولى عزَّ وجلَّ مِنْ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله كما هو ظاهر مِنْ سياق الآية.

* ﴿ أَيُّهَا ﴾: كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ، من (أيّ) و(ها) التَّنْبِيهِ الوَصْلِيَّةِ وَيَتْبَعُهَا المُنَادى المُعَرَّفُ بِأَلْ، يَا أَيُّهَا الوَلَدُ وَيَجُوزُ تَأنيثُهَا كقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[3]، وهذه الصيغة تُفيدُ معنى تنبيه المُخَاطَب ولفت نَظَرِهُ إلى مضمونِ الكلام الواقع بعد النداء[4].

* ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾: ويُلاحظ في هذه الآية المباركة أنَّ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله نُعِتَ بالرَّسُولِ دون غيرها مَن الصفات، كنعتهِ مثلاً بالنَّبِيِّ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ... ﴾، أو بحال من أحواله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ... يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ... ﴾، وغيرها من النعوت التي نُعِتَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من قبل السماء، ففي هذا النعت دلالة على أنَّه تعالى قصد إبراز حيثيّة الرسالة التي يتّصف بها النّبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه الآية دون غيرِها، وذلك للإشارة إلى نكتة أنَّ ما بعد هذه الصفة متعلّق بخصوص الصفة، أي أنَّ الكلام الذي سيقع بعد نداء النّبيِّ صلى الله عليه وآله بصفة الرسول، سيكون كلامًا متعلّقاً بالرسالة التي اتصف بها النّبيُّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله،

(١) المُنصف، لأبي شيبة: ٧/ ٥٠٣، باب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني: ٤٨٧.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٧.

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١/ ٢٨٠-٢٨١.

ويُلاحظ مِنْ هذا:

أولاً: نداء الرَّسول ﷺ بهذه الصفة دون غيرِها مِنْ قِبل السماء، لم تَرِدْ في القرآنِ إلَّا في موضعين، أحدهُمَا في هذه الآية التي نحن في صدد دراستها، والآخر في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾[1]، فالنعت الواقع بعد النداء له علاقة بالرسالة والإرسال، فمِنْ أهداف الرسول ﷺ هي إخراج النَّاس من الظلمات إلى النّور، وهدايتهم لعبادة الله تعالى، ووضعهم على الصراط المستقيم، ويُلاحظ مِنْ سياق هذه الآية أنَّ الله جلَّ ذكره يُطمئِن نبيَّه ﷺ ويرشده لعدم الحزن على مسارعة بعض الذين آمنوا للكفر والضلال.

ثانيا: إنَّه ومع العودة للقرآن الكريم لاستقراء الآيات التي ورد فيها نداء النّبيِّ ﷺ بنعوت وصفات خاصة، يلحظ أنَّه تعالى لم يستعمل صفة أونعت إلَّا عندما يكون الكلام الذي سيقع بعدها متناسباً ومتعلقاً بخصوص تلك الصفة.

* ﴿ بَلِّغۡ ﴾: فعل أمر يَدلُّ على معنى اللزوم ووُجُوب التبليغ، وهنا مسألتان:

الأولى: يُمكن استبدال الفعل (بَلِّغ) بالفعل(أَبلِغْ) ويبقى الكلام محافظاً على صحّته، ولكنَّ صيغة (بَلِّغ) مِنْ معانيها التكثير والمبالغة، وهذا المعنى لا يوجد في صيغة (أَبلِغْ)[2]، فاستعمالها يُدلّل على التأكيد على التبليغ بالأمر الذي أُنيط به الرّسول ﷺ.

الثانية: إنَّ لفظة (بَلِّغ) تَدلُّ على توكيد إظهار الشيء الذي أمر الله تعالى به رسوله ﷺ أنْ يُبيِّنه للنّاس، وهذا ما يذهب إليه مشهور أهل اللّغة كما يحكي ذلك أبو جعفر النحّاس[3]، ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الذي يدلّل على أنّ العلّة في تأخير

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) ينظر: الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكلداوي، ود. عبد الوهاب محمد علي العدواني: ٦١-٦٢.

(٣) ينظر: معاني القرآن، أبو جعفر النحّاس: ٢ / ٣٣٨.

إظهار النّبيِّ ﷺ لِمَا أُمِر به، هو خشية مكائد وسوء فعل بعض النّاس.

* ﴿ مَآ ﴾: اسم موصول يفيد معنى الشيء[1]، فكأنَّ المعنى (بلِّغ الشيء الذي أَنزلته عليك)، وهذا يقابل قول الأب لابنه الذي عليه واجبات دراسية: (افعل ما أُمرتَ به)، أي أنجز التمارين التي أمركَ بها المعلم.

* ﴿ أُنزِلَ ﴾: فعل ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، وهذا يَدلُّ على أنَّ نُزُول الأمر الذي أُمِرَ به الرسول ﷺ قد حصل في الزَّمن الماضي، فالمعنى في ضوء السياق وبمعية لفضة (بَلِّغ) يكون هو إظهار ما نزّل على الرسول سابقاً، فالشيء المأمور بتبليغه الرسول ﷺ هو قد نزل عليه في الماضي وأُمِرَ هنا بإظهاره.

* ﴿ إِلَيْكَ ﴾: جار ومجرور، والكاف ضمير متصل يعود إلى الرسول ﷺ ليحدِّد الجهة التي نزل عليها هذا الأمر المُنَزَّل، وهو النَّبيُّ محمَّد ﷺ.

* ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾: جال ومجرور، والكاف مضاف إليه، يُمكن الاستغناء عن هذه العبارة، ويبقى المعنى قائمًا، مثلاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، ولكنَّه تعالى ذَكَرَ وأكَّدَ على الجهة التي نَزَلَ منها الأمر، وتبليغ الرسول ﷺ به، ليُؤكّد أكثر وأكثر على أنَّ الأمر الذي أُمر رسول الله ﷺ بتبليغه، هو من عند الله لا هو من مستلزمات ومقتضيات أمر تشريعي آخر، وذلك لقطع الطريق على كلِّ من توهم أو احتمل بأنَّ هذا الشيء المأمور بتبليغه الرَّسول ﷺ من عند غير الله، وهذه عناية زائدة تكشف على درجة أهميّة وشأنية الشيء المراد تبليغه.

* ﴿ وَ ﴾: حرف عطف، يعطف ويربط الكلام الذي بعده بالكلام الذي قبله[2].

* ﴿ إِن ﴾: أداة شرط، تُفيد تحقّق جواب الشرط الذي هو ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾

(١) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلي المصري الهمذاني: ١/ ١٣٥.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٢١٢.

متوقِّف على تحقّق فعل الشرط الذي بعدها مباشرة[1]، وهو ﴿ لَّمۡ تَفۡعَلۡ ﴾ الحامل لمعنى عدم التبليغ.

* ﴿ لَّمۡ ﴾: حرف نفي جازم، ينفي ما بعده من فعل[2]، وهو يفيد في سياق الآية نفي فعل التبليغ الذي أُمِرَ به الرسول الأكرمﷺ، والذي تشير إليه لفظة ﴿ تَفۡعَلۡ ﴾ الواقعة بعده مباشرة.

* ﴿ تَفۡعَلۡ ﴾: فعل مضارع مجزوم وهو فعل الشرط، ويدلُّ في ضوء السياق العام للآية المباركة على معنى (فعل التبليغ بما أُمِرتَ بهِ)، وعند إضافة هذا المعنى إلى ما قبله يكون المعنى:(وإن لم تُبلّغ ما أُمِرتَ بهِ).

* ﴿ فَمَا ﴾ :الفاء حرف ربط يربط جواب الشرط بفعله، وما: حرف نفي ينفي فعل التبليغ الذي بعده.

* ﴿ بَلَّغۡتَ ﴾: (بلَّغَ) فعل ماضٍ، والتاء ضمير متصل يعود إلى الرسولﷺ.

* ﴿ رِسَالَتَهُۥ ﴾: مفعول به، والهاء عائد على لفظ الجلالة مضاف إليه فكأنَّما الكلام يكون موجه للرَّسولﷺ (إنْ تركت ما أُنزل إليك في عليٍّ فكأنَّك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربِّك، إذ كتمان بعضها ككتمان كلِّها في استحقاق العقاب)[3].

* ﴿ وَٱللَّهُ ﴾: الواو حرف عطف، يعطف ويربط الكلام الذي بعده بالكلام الذي قبله[4]، ولفظ الجلالة فاعل مقدَّم، وهو تعالى الذي يَعصِمُ ويحَفِظُ رسوله.

* ﴿ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: (يعصم) فعل مضارع، والكاف ضمير متصل مفعول به عائد على الرَّسولﷺ، ويُلاحظ من سياق الآية أنَّ عصمة الرَّسولﷺ ليست في

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه:١/ ٤٥٧، والمقتضب، المبرد:٢/ ٧٤-٧٥.

(٢) ينظر: قطر النَّدى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري: ١٣٢.

(٣) الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر: ٢/ ١٧٩.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٢١٢.

العمل، لأنَّها موجودة من أَوَّل حياته، والآية في آخرها، بل هي عصمة لهﷺ من النَّاس أنْ يتهموه بأنَّه حابى ابن عمِّه فأوصى له بخلافته، وأنَّه يُريد تأسيس ملك لبني هاشم، فيرتدون لذلك عن الإسلام.

وهناك روايات كثيرة في هذا الصدد ومنها: عن الإمام الصادقعليه السلام قال لمواليه وشيعته: «**أ تعرفون يوماً شَيَدَ اللهُ به الإسلام وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟**»، فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟ قال: «**لا**»، قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: «**لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحِجَّة، وإنَّ رسول اللهﷺ لَمَّا انصرف مِنْ حِجَّة الوداع وصار بغدير خم أمر الله عزَّ وجلَّ جبرئيل أنْ يَهبِطَ على النبيِّﷺ وقت قيام الظهر من ذلك اليوم، وأمره أنْ يقوم بولاية أمير المؤمنينعليه السلام وأنْ ينصبه علماً للناس بعده، وأنْ يستخلفه في أُمَّته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمَّد، إنَّ الله يقرؤك السَّلام ويقول لك: قُمْ في هذا اليوم بولاية عليٍّ ليكون علماً لأُمَّتِكَ بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كأَنتَ، فقال النبيﷺ: حبيبي جبرئيل، إنِّي أخاف تغير أصحابي لما قد وُتروه، وأنْ يبدوا ما يضمرون فيه، فعرج وما لبث أنْ هبط بأمر الله فقال له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فَقَامَ رسول اللهﷺ ذَعِراً مرعوباً خائفاً وقدماه تُشْوَيَان من شدَّة الرمضاء، وأمر بأن ينظف الموضع ويُقَمَّ ما تحت الدُوح من الشوك وغيره، ففُعل ذلك، ثمَّ نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثمَّ قام خطيباً وذكر الولاية فألزمها للنَّاس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك**»[1].

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (١٠٣٧هـ-١١١٠هـ): ٩٤/ ٣٠٠.

وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا: أمر الله تعالى نبيَّه محمداًﷺ أنْ يُنَصب علياً علماً للنَّاس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أنْ يقولوا حابى ابن عمِّه وأنْ يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

نَزَلتْ هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذِي الحِجَّة التي سُمِّيت بحِجَّة الوداع سنة (١٠هـ) لَمَّا بَلَغَ الرَّسولﷺ غدير خُم فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النَّهار، فقال: «**يا محمَّد، إنَّ الله يَقرَؤُك السَّلام ويَخُصُّك بالتحيَّة والإكرام ويقول لك**: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ **في عليٍّ** ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾»، وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة فأمره أن يردَّ من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأنْ يُقِيمَ علياً علماً للنَّاس ويبلغهم ما أُنزل فيه، وأخبره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ عصمه من النَّاس[2]، فالله سبحانه أمر نبيَّه بالتبليغ ووعده العصمة والنُّصرة فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ وهذا نداء تشريف وتعظيم ﴿ بَلِّغۡ ﴾ أي أوصل إليهم ﴿ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

مَنْ يتتبع كتب التفسير وأسباب النُّزول يجد هناك اختلافًا كثيرًا حول سبب ومكان وزمان نزول آية التبليغ بين الشيعة والسُّنَّة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ): ١/ ٣٣١. وغيرها الكثير من الروايات التي تُؤكد عصمة الله لرسولهﷺ. ينظر: الكافي، للكليني: ١/ ٢٩٠، وسنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود (المتوفى٢٧٥ هـ): ١/ ٦١١، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، الحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى٩١١هـ): ٢/ ٢٩٨، وغيرها الكثير.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت١٣٩٢هـ): ١/ ٢١٤.

السنّة أنفسهم، فنشأة أقوال كثير من قبلهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب، ومن هذه الأقوال:

القول الأوَّل: إنّها نزلت بداية البعثة النبوية

زَعَمَّ بعض المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت على الرَّسولﷺ في بداية بعثته النَورَانية، فخاف أن يُبلِّغ رسالة ربِّه، فتباطأ فهدده الله تعالى وبعدها طَمَّأنَهُ لذلك.

وهذا القول بحدِّ ذاته تهمة مشينة بحق الرَّسولﷺ، وكيف يُقال هذا به هو أعظم النَّاس إيماناً وشجاعةً، وحرصاً على تبليغ رسالة ربِّه؟ بنصِّ القرآنِ، وبشهادةِ سيرتهِﷺ، ومعنى قولهم إنَّ الآية نزلت قبل٢٣ سنة من نزول سورة المائدة.

رُوِي عن ابن جريج قال: (كان النبيُّﷺ يهاب قريشاً فأنزل الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، فاستلقى ثمَّ قال: من شاء فليخذلني، مرتين أو ثلاثاً)[1].

وعن مجاهد قال: لَّما نزلت ﴿ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾، قال: يا ربِّ إنَّما أنا واحدٌ كيف أصنع يجتمع عليَّ النَّاس؟! فنزلت ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2].

وعن الطبري: كان النبيُّ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويُخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من شرِّ المشركين إليه وإلى أصحابه[3].

وأكثر المخلطين في هذا القول ابن كثير فقد جعل الآية في أوّل البعثة وخلطها بآية: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[4]، وبتر حديث الدَّار الوارد في تفسيرها وحذف منه أنَّ

(١) الدُّر المنثور: ٢/ ٢٩٨.

(٢) أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال زغلول:١/ ١٣٩.

(٣) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ - ٩٢٣م):٦/ ١٩٨، وهناك كثير من التفاسير التي فسرت آية التبليغ بهذا المعنى منها: ينظر: الأُمّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المعروف بالشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ): ١/ ١٦٨، والوسيط:٢/ ٢٠٨، الكشاف:١/ ٦٥٩، وغيرها الكثير.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

الله أمر نبيَّه ﷺ أنْ يختار خليفته ووصيَّه من عشيرته الأقربين، ثمَّ أورد حديثاً مَكذوباً وفسَّره بأنَّ الرَّسول ﷺ كان يخاف أنْ يقتله القرشيون فطلب من بني هاشم شخصاً يكون خليفته في أهله ليقضي دينه، فقبل ذلك عليٌّ عليه السلام، ثمَّ انتفت الحاجة إليه بنزول آية العصمة من النَّاس، قال في كتابه السيرة النَّبوية: قال عليٌّ: «**لمَّا نزلت هذه الآية:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، **قال لي رسول الله: اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبن وادع لي بني هاشم، فدعوتهم وإنَّهم يومئذ لأربعون غير رجل...**»، إلى أنْ قال: «**أيُّكم يقضي عنِّي ديني ويكون خليفتي في أهلي**»؟ قال: «**فسكتوا وسكت العباس خشية أنْ يحيط ذلك بماله... قلت: أنا يا رسول الله قال: أنت**»، ومعنى قوله في هذا الحديث: من يقضي عنِّي ديني ويكون خليفتي في أهلي يعني إذا مِتُّ، وكأنَّه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أنْ يقتلوه فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ويقضي عنه، وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

وقد تجاهل ابن كثير أنَّ روايته تنسب الجبن إلى مَن هو أشجع إنسان عرفه التاريخ ألا وهو الرَّسول الأعظم محمَّد ﷺ حتى في المرحلة الأُولى التي كان مأموراً فيها بدعوة عشيرته الأقربين فقط.

القول الثاني: إنّها نزلت في مكة قبل الهجرة

وقيل إنَّها نَزَلت في مكَّة قبل الهجرة، فاستغنى النبيُّ ﷺ عن حراسة عمِّه أبي طالب، أو عمِّه العباس.

رُوِي عن ابن مردويه عن ابن عباس قال: سُئِل رسول الله: أيُّ آيةٍ أُنزلت من السماء

(١) السيرة النبوية من البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد: ١/ ٤٦٠.

أشدُّ عليك؟ فقال: «كُنتُ بمنى أيام الموسم واجتمع مشركو العرب وأفناء النَّاس في الموسم فنزل عليَّ جبريل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾»، قال: «فقمت عند العقبة فناديت: يا أيّها النَّاس من ينصرني على أن أُبلِّغ رسالة ربِّي ولكم الجنة؟ أيّها النَّاس قولوا لا إله إلَّا الله وأنا رسول الله إليكم، تنجوا ولكم الجنَّة. قال فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلَّا يرمون عليَّ بالتراب والحجارة ويبصقون في وجهي ويقولون كذاب صابئ، فعرض عليَّ عارض فقال: يا محمَّد إن كُنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك»، فقال النبيُّ: «اللهمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أنْ يجيبوني إلى طاعتك»، فجاء العباس عمُّه فأنقذه منهم وطردهم عنه، قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس...[1].

وعن عائشة قالت: كان النبيُّ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله رأسه من القُبَّة فقال لهم: «يا أيّها النَّاس انصرفوا فقد عصمني الله»[2].

مهمَّا صحَّت رواياتهم فالواقع يكذبها، لأنَّ المُجمع عليه في سيرته ﷺ أنَّه كان يطلب من قبائل العرب أنْ تحميه من القتل لكي يُبلّغ رسالة ربِّه، وقد بايعه الأنصار بيعة العقبة

(١) الدُّر المنثور: ٢/ ٢٩٨، المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ/ ٩١٨م): ١١/ ٢٠٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ الهيثمي: ٧/ ١٧.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٨٩٢م): ٤/ ٣١٧، وهناك الكثير مَنْ أيَّدَ هذا القول، ينظر: الدر المنثور: ٢/ ٢٩٨، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم السهيلي (ت١١٨٥هـ): ٢/ ٢٩٠، وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، الشيخ شهاب الدين القسطلاني: ٥/ ٨٦، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني: ١٤/ ٩٥، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي: ١/ ٢٤٤، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري: ١٦/ ١٩٦، حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري: ١/ ٧٩. وغيرها الكثير.

على أنْ يحموه ويحموا أهل بيته ممَّا يحمون منه أنفسهم وأهليهم، فلو كانت آية العصمة نزلت في مكة وكان معناها كما زعموا، لما احتاج إلى ذلك.

كما يرى الباحث أنَّ الغرض مِنْ هذا القول تقليل أثر أبي طالب في نصرة الرَّسولﷺ وإثبات أثر مميز للعباس في حمايته، مع أنَّ دوره كان عادياً كبقية بني هاشم الذين لم يسلموا ولم يهاجروا.

القول الثالث: إنَّها نزلت في المدينة، فألغى النبيُّﷺ حراسته

عن عُصمة بن مالك الخطمي قال: كنَّا نَحرُسُ رسول اللهﷺ بالليل حتى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس[1])، وعن سعيد بن جبير قال: لَمَّا نَزَلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ...﴾ قال رسول الله: «**لا تحرسوني إنَّ ربِّي قد عصمني**»[2]، وعن محمّد بن كعب القرظي أنَّ رسول الله ما زال يحارسه أصحابه حتى أنزل الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فَتَرَكَ الحرس حين أخبره أنَّه سيعصمه من النَّاس[3].

وهذا القول باطل، لأنَّه يتحدث عن الحراسة وحراسة الرَّسولﷺ استمرت إلى آخر عمره الشريف.

القول الرابع: إنَّها نزلت في المدينة في السنَّة الثانية، بعد معركة أُحُد

عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنِّي أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أُبي: إنِّي رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية مواليَّ، فقال رسول الله لعبد الله بن أُبي: «**أبا حباب أرأيت**

(١) ينظر: الدُّر المنثور: ٢/ ٢٩٨.

(٢) ينظر: تاريخ المدينة، لعمر بن شبة: ١/ ٣٠١.

(٣) ينظر: دلائل النبوة، للبيهقي: ٢/ ١٨٠.

الذي نفستَ به مِنْ ولاء يهود على عبادة فهو لك دونه» قال: «**إذن أقبل**»، فأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]، ويقصدون أنَّ آية التبليغ في هذا الموضع تُفيد النَّهي، أي النَّهي عن تولي اليهود كما زعموا، فيكون موضوعها النَّهي عن ولاية اليهود، وليس وجوب ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي لبطلان هذا القول، أنَّ ولاء ابن سلول لليهود، توفي قبل نزول سورة المائدة بنحو سنتين[2].

القول الخامس: إنَّها نزلت أثر محاولة شخص اغتيال النبيِّ صلى الله عليه وآله

وهناك روايات كثيرة في هذا القول منها، قيل: إنَّها نزلت في غزوة بني أنمار المعروفة بذات الرقاع، وتدور هذه الحادثة حول شخص جاء إلى الرَّسول صلى الله عليه وآله وطلب منه أنْ يعطيه سيفه ليراه، فأعطاه النبيُّ صلى الله عليه وآله إيّاه بكلِّ سهولة، أو كان علقه وغفل عنه، أو دلى رجليه في البئر وغفل عنه...إلخ.

عن جابر بن عبد الله قال: لمَّا غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غُورِث بن الحرث: لأقتلنَّ محمداً، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته به، فأتاه فقال: يا محمّد أعطني سيفك أشِمّهُ، فأعطاه إيّاه فرعدت يده، فقال رسول الله: «**حال الله بينك وبين ما تريد**»، فأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ... ﴾[3].

عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه

(١) ينظر: الدر المنثور: ٢/ ٢٩١.
(٢) ينظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٣٨١.
(٣) الدُّر المنثور: ٢/ ٢٩٨.

شجرة ظليلة فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثمَّ قال: من يمنعك منِّي؟ قال: «الله»، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فأنزل الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

وممَّا يدلُّ على بطلان هذا القول، أنَّ غزوة ذات الرقاع كانت في السنَّة الرابعة من الهجرة[2] أي قبل نزول سورة المائدة بسنوات.

أمَّا قول الشيعة: اتّفق علماء الشيعة على كون آية التبليغ نزلت في خصوص إعلان تنصيب الإمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام إماماً وخليفةً بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله، كما اتفقوا على أنَّ الآية جاءت لتأمر الرَّسول صلى الله عليه وآله وتحثّهُ على الإعلان الفوري بتنصيب الإمام عليٍّ عليه السلام خليفة من بعد أنْ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤخره لِتَحينَ الفرصة المناسبة لخشيته من تحرك بعض النفوس التي لا تتقبّل أنْ تكون النبوّة والإمامة في بني هاشم حتى لو كان ذلك بأمرٍ من المولى تعالى، وكذا تحرّك النفوس التي تحمل بُغضاً دفيناً اتجاه الإمام عليٍّ عليه السلام خصوصاً، والخشية من وقوع فتنة تكون نتائجها وخيمة[3].

(١) الدرُّ المنثور: ٢/ ٢٩٨.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام الأنصاري: ٣/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي: ١/ ٢٥٢، وتفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العيّاشي: ١/ ٣٣١-٣٣٣، ومجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/ ٥٢٦، وجوامع الجامع، الشيخ الطبرسي: ١/ ٣٤٢، والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٥١-٧١، وتفسير البرهان، هاشم البحراني: ٢/ ٤٩٤ - ٥٠٠، وتفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٦/ ٤٨، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ٣/ ٥٧٦-٥٨٢، وغيرها الكثير.

المبحث الثاني: آية الإكمال

﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1].

هذه الآية الكريمة من الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فقد اتفق مفسرو الإماميّة على أنَّ هذه الآية الشريفة نزلت يوم الغدير، بعد أن نادى الرَّسول صلى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين بألفاظٍ دريّةٍ صريحةٍ، فتضمن نصاً جلياً عرفته الصحابة وفهمته العرب فاحتجَّ به مَن بلغهُ الخبر، ووافق الإماميّة على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمَّة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنَّة والجماعة.

مفردات الآية ومعانيها

* ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف زمان أراد به الزمان الحاضر[2]، متعلق بـ(يئس) منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

وفي هذه اللفظة أقوال عدّة منها:

القول الأوَّل: إنَّه ليس المُراد هو ذلك اليوم بعينه حتى يُقَال إنَّهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين، وإنَّما هو كلام خارج على عادة أهل اللسان، معناه لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار؛ لأنَّكم الآن أصبحتم لا يطمع بكم أحدٌ من أعدائكم في توهين

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ): ١/ ٤١٠.

أمركم، ونظيره قوله: كنت بالأمس شاباً واليوم أصبحتَ شيخاً، ولا يريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومك الذي أنت فيه[١].

القول الثاني: إنَّ المُراد به يوم نزول هذه الآية، وقد نَزَلتْ هذه الآية الكريمة يوم الثامن عشر من ذِي الحِجَّة التي سُمِّيت بحِجَّة الوداع سنة (١٠هـ) لَمَّا بَلَغَ الرَّسول ﷺ غدير خُم فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النَّهار، وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من منطقة الجحفة، فأمره أن يرد من تقدَّم منهم، ويحبس من تأخَّر عنهم في ذلك المكان، وأنْ يُقِيمَ علياً علماً للنَّاس ويبلغهم ما أنزل فيه[٢].

القول الثالث: وقيل إنَّ المراد باليوم يوم عرفة من حجَّة الوداع بعد دخول العرب كلِّها في الإسلام، وكان يوم جمعة ونظر الرَّسول فلم يرَ إلَّا مسلماً موحداً ولم يرَ مشركاً[٣].

القول الرابع: ذهبَ بعض المفسرين إلى أنَّ المُراد من اليوم، هو يوم البعثة لا يوم الغدير[٤]، والسؤال: ما القرينة على ذلك؟

إنَّ الآية حين تقول (اليوم)، ثُمَّ تصف هذا اليوم بأنَّه اليوم الذي رضي الله فيه الإسلام ديناً لكم، فإنَّ مقتضى القاعدة أنْ يكون المقصود منه هو يوم بعثة الرَّسول، وبذلك تكون القرينة هي قوله تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، ويُمكن أن يكون هذا صحيحاً لو لم يكن قوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ مسبوقاً بالجمل التي قبله، لأنَّ تلك الجمل قد تحدثت عن إكمال الدين، وإتمام النعمة، رضا الرب، والحال أنَّ بداية هذه النعمة كانت مع أَوَّل أيام البعثة، أمَّا قوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، فقد جاء لبيان أنَّ الإسلام الذي كَمُل الآن وتمت نعمته، هو ذاك الإسلام المَرضيّ، وبذا يتبين

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣/ ٤٤٠.
(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب، عبد الحسين الأميني (ت١٣٩٢هـ): ١/ ٢١٤.
(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسي: ٣/ ٢٧٣.
(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ٦/ ٦٠-٦٣.

أنَّ المُراد بـ(اليوم) لا يمكن أنْ يكون يوم البعثة.

القول الخامس: من الوجوه التي قال بها المفسرون مِن دون أنْ تكون لهم عليها قرينة، هو أنْ يكون المُراد باليوم يوم فتح مكة، فقد ذَكَرَ فخر الدين الرازي أنَّ أحد الأيام العظيمة في تاريخ الإسلام هو يوم فتح مكة[1]، إذ نَزَلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[2].

لو نرجع إلى التاريخ لوجدنا أنَّ مكة لها موقع روحي مهم في جزيرة العرب، فبعد عام الفيل انطوت جميع قبائل الجزيرة العربية على اعتقاد عظيم بالكعبة بصفتها معبداً مهمًّاً، وفي الواقع أنَّ غرور قريش يَكمُن في هذه النقطة بالذَّات، فقد سخَّرت هذه القضية لصالحها، وأخذت تتحدث مِن خلالها عن موقعها وأهميتها والاحترام الذي تستحقّه، إذ انتهت قصة أصحاب الفيل بذلك البلاء السماوي الذي أصاب جيشهم حتى لم يبقَ منهم أحد، لقد استحكم الغرور بقريش بعد هذه الواقعة، حتى تحوَّل إلى ضربٍ من الطاعة أخذت تبديه لها قبائل جزيرة العرب.

منذ ذلك الوقت وشعورٌ وُلِدَ عند النَّاس باستحالة أن يُسيطِر أحدٌ على الكعبة ويهيمن عليها، ولكنَّ رسول الله ﷺ قام بفتحِ مكَّة مِن دونِ إراقة دماء، ومن دون مَشَاق، ودون أن يلحق أحدٌ منهم أدنى ضرر، ربَّما أخذ الرَّسول في حسابه هذا الشعور (النفسي العقيدي) وهو يحرص على فتح مكَّة من دون إراقة دماء.

فلو قُتِلَ من المسلمين في معركة أُخرى مئة أو أكثر لَمَا قيل شيء، ولكن لو أُصِيبَ أحد منهم في فتح مكَّة أدنى ضرر، لقال من قال: انظروا، قد نزل بمحمدٍ وأصحابه ما نزل بأصحاب الفيل.

(١) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ١١/ ١٠٧-١٠٨.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ١-٢.

لقد سلك الرَّسولﷺ نهجاً في فتح مكّة لم يؤدِّ إلى إراقة قطرةِ دمٍ واحدة، لا من المسلمين ولا من الكفّار، باستثناء ما كان صدر من خالد بن الوليد – بدافع الحقد الذي ينطوي عليه – عندما وصل لقوم في أطراف مكة فقتل جماعة بعد أنْ قاومه عددٌ منهم، وعندما وصل الخبر إلى الرَّسول تبرّأ ممَّا كان فعله خالد، وقال: «**اللهم أنّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد**»[1].

لقد ترك فتح مكة أثراً نفسياً كبيراً لدى قبائل الجزيرة العربية، فقد تبيَّن لهم أنَّ للقضية وضعاً آخر، فها هو محمَّدﷺ قد جاء وفتح مكَّة ولم يصبه أذى.

والآن أعود إلى احتمال أنَّ المقصود من قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ هو يوم فتح مكة، ففي ضوء العرض الآنف أنَّه ليس هناك دليل يثبت هذا الرأي، لا من اللغة ولا من التاريخ، فضلاً عن افتقار هذا الرأي لِمَا يؤيده من قرينة وشاهد تاريخي، نجد أنَّ صدر الآية لا يُعين عليه، إذ قوله تعالى: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾، إذ المُراد أنَّه لم يبقَ شيء إلَّا وذكرته، في حين نعرف أنَّ الكثير من أحكام الإسلام وتعاليمه نزلت بعد فتح مكة، وهذا ما لا يتسق مع قوله: ﴿أَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ فعندما يقول: (أتممتُ هذه البناية) فمن الثابت أنَّ المُراد ليس أنَّه تركها على النصف، فضلاً عن نزول الكثير من الآيات بعد فتح مكة، منها سورة المائدة بتمامها، وهي سورة طويلة ضمت كثيراً من الأحكام والتعاليم، فكيف يتسق القول بأنَّ هذا الجزء من السورة له صلة بفتح مكة الذي تمَّ في السنة الثامنة للهجرة، مع أنَّ السورة نفسها نزلت في السنة العاشرة للهجرة، أمَّا إنْ قلنا إنَّ هذه الآية نزلت وحدها في يوم فتح مكة، فإنَّ ذلك ممَّا لا يتّسق مع إتمام النعمة أيضاً.

(١) ينظر: الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٥٢-١٥٣، بحار الأنوار: ٢١/ ١٤٢، و١٠١، و٤٢٣-٤٢٤.

ثُمَّ اعترض على أمرٍ آخر يَرِدُ على هذا الاحتمال، ينطلق هذه المرّة من قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾، فهل كان الحال كذلك في يوم فتح مكّة؟ صحيح أنَّ الفتح انطوى على أثرٍ عظيمٍ، ولكنَّ هل يئس الكافرون من الدين في هذا اليوم كليّاً؟ فالجواب بالتأكيد لا.

القول السادس: المقصود باليوم يوم تبليغ أمير المؤمنين سورة براءة، فهذا اليوم من الأيام المهمة الأُخرى المحتمل كونه مراد الآية، يوم قراءة سورة (براءة) من قِبل الإمام أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب في منى، سنة (٩) هجرية.

لقد كان فتح مكّة فتحاً عسكرياً، عاد بنتائج مدهشة على صعيد تثبيت القدرة العسكرية، بل وحتى المعنويّة للإسلام، ولكن مع ذلك كان الرَّسول ﷺ يعيش مع الكفّار وفقاً لشروط الصلح، فقد كان الصلح قائماً بين الطرفين، وبمقتضاه كان للمشركين حقُّ الطواف بالكعبة والمكوث في مكَّة والاشتراك في الحجِّ، وقد حصل في إحدى السنوات، أنَّ الحجَّ كان مشتركاً، إذ حجَّ المسلمون وأدّوا مناسكهم وفقاً لتعاليم الإسلام، وحجَّ المشركون وقد أدّوا مناسكهم وفقاً لعقيدتهم.

وفي السنة التاسعة للهجرة نزلت سورة براءة (التوبة) حيث ندَبَ الرَّسول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لقراءتها في منى على مسمع من النَّاس، وبمقتضى هذه السورة لا يحقُّ للمشركين بعد عامهم هذا أنْ يشاركوا بمراسم الحجّ، فالحجُّ أضحى منسكاً خاصّاً بالمسلمين وحسب[1].

يتبيَّن ممَّا مرَّ، أنَّ يوم تبليغ (براءة) كان يوماً استثنائياً في حياة المسلمين، ففيه أُعلن أنَّ الحرم يختصُّ بالمسلمين وحدهم، ولا يحقُّ للمشركين بعد الآن أنْ يشاركوا في مراسم الحجِّ، وهذا الأذان جعل المشركين يفهمون أنَّه ليس بمقدورهم أنْ يظلوا على شركهم،

(١) ينظر: الميزان، السيد الطباطبائي: ٥/ ١٦٧-١٧٣.

فالإسلام يتعايش مع الأديان الأُخرى كاليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة، بيد أنَّه لا يتحمَّل الشرك ولا يتعايش معه، وللأهمية التي يتحلَّى بها هذا اليوم، ذكروا أنَّه قد يكون هو المراد من الآية.

إنَّ هذا الاحتمال لا يتسق مع قوله تعالى: ﴿أَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ لأنَّ كثيرًا من الأحكام جاءت بعد هذا اليوم، نزلت براءة في السنة التاسعة للهجرة في حين أنَّ اليوم الذي تعنيه الآية التي نحن بصددها، لا بُدَّ أن يكون من الأيام الأواخر في حياة الرَّسولﷺ، إذ لم ينزل من السماء بعده حكم جديد.

* ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يَئِسَ فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والَّذِينَ اسم موصول مبنيٌّ على الفتح في محل رفع فاعل، وكَفَرُوا فعل ماضٍ مبنيٌّ على الضم لاتصاله بواو الجماعة، وواو الجماعة ضمير متصل مبنيٌّ في محل رفع فاعل والألف فارقة والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب، وفي هذه العبارة الشريفة نستشف معنيين:

الأول: يَئِس مشركو العرب مِن أَن تُحَلل هذه الخبائث بعد أن جَعَلَهَا الله محرمة.

الثاني: يَئِسوا من أن يغلبوا المؤمنين على دينهم؛ لأنَّه تعالى وَعَدَهم بإعلاء هذا الدين على كلِّ الأديان، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[1]، فحقق الله تعالى النُّصرة التي وعدهم بها، وأزال الخوف، وجعل الكفَّار مغلوبين بعد أنْ كانوا غالبين، ومقهورين بعد أنْ كانوا قاهرين.

فضلاً عن ظهور الإسلام وظهوره يقتضي أنْ ييئس الكفار من إرجاع الذين آمنوا بالله تعالى إلى عبادة الأوثان والأصنام، فضلاً عن أنَّهم يئسوا من بطلان الإسلام.

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢-٣٣.

* ﴿مِن﴾: حرف جر، ﴿دِينِكُمْ﴾: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والميم للجماعة، والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالقيام به ومعنى يئسوا وانقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وترجعوا منه إلى الشرك[1].

* ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: الفاء فاء الفصيحة، (لا) حرف نهي وجزم، تخشون فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو ضمير مبنيٌّ على السكون في محل رفع فاعل، والهاء ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ نصب مفعول به، والميم للجماعة، وهذا الخطاب موجه للمؤمنين، إذ نهاهم الله تعالى أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم[2].

* ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾: واخشون الواو حرف عطف، اخشون فعل أمر مبنيٌّ على حذف النون والواو ضمير متصل مبنيٌّ على السكون في محلِّ رفع فاعل والنون للوقاية والياء ضمير متصل مبنيٌّ على السكون في محلِّ نصب مفعول به، أي اخشوني، وخافوني إنْ خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي أن أحل بكم عقابي[3].

فهذا النَّص: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ من الآية الشريفة لو نضعه بجنب آيات أُخرى مِن القرآن الكريم التي فيها تحذير للمسلمين وتخوّفهم من كيدِ الكُفَّار الدائمِ لهم ولدينهم، على اعتبار أنَّ الكفَّار يَودُّون أنْ يرجع المسلمون عن دينهم، وهذا التحذير القرآني شمل أهل الكتاب وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ

(١) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/ ٢٧٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

أَنفُسِهِم ﴾[1]، ففي ضوء ما تقدم نجد أنَّ الله تعالى يحُذر المسلمين في آيات من القرآن أنَّ الكُفَّار يَودُّون باستئصال دينكم، ثمَّ يأتي جلَّ ذكرُهُ بهذه الآية ليذكر يأسهم من بطلان الإسلام، فقد يئسوا وانقطع طمعهم من دينكم أنْ تتركوه وترجعوا منه إلى الشرك[2]، وانتهى نشاطهم المعادي لدينكم ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾.

* ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾: مثل الأَوَّل، وهنا متعلّق بـ(أَكْمَلْتُ)، وأَكْمَلْتُ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على السكون؛ لاتصاله بتاء الفاعل، وتاء الفاعل ضمير متصل مبنيٌّ في محلِّ رفع فاعل، ولَكُمْ: جار ومجرور متعلقان بـ(أَكْمَلْتُ) أيضاً، ودِينَكُمْ: مفعول به لأَكْمَلْتُ منصوب وهو مضاف، والكاف ضمير متصل مبنيٌّ على الضم في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والميم للجماعة. وقِيلَ في هذا المقطع مِن الآية الشريفة أقوال منها[3]:

القول الأَوَّل: إنَّ معناه أكملت لكم فرائضي وحدودي، وحلالي وحرامي، بتنزيلي ما أنزلتُ، وبياني ما بينتُ لكم، فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم، وكان ذلك يوم عرفة عام حجّة الوداع، وقِيلَ: لم ينزل بعد هذا على الرَّسول ﷺ شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم، وإنَّه مضى بعد ذلك بإحدى وثمانين ليلة، فإن اعترض معترض، فقال: أكان دين الله ناقصاً، وقتاً من الأوقات، حتى أتمَّه في ذلك اليوم؟ فجوابه: إنَّ دين الله لم يكن إلَّا في كمال، كاملاً في كلِّ حال، ولكن لَمَّا كان مُعرَّضاً للنسخ والزيادة فيه، ونزول الوحي بتحليل شيء، أو تحريمه، لم يمتنع أنْ يوصف بالكمال، إذ أمن من جميع ذلك فيه، كما توصف العشرة بأنَّها كاملة، ولا يلزم أنْ توصف بالنقصان، لما كانت المائة أكثر منها وأكمل.

القول الثاني: إنَّ معناه اليوم أكملت لكم حِجَّكم، وأفردتكم بالبلد الحرام، تَحِجُونه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/ ٢٧٣.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٧٣-٢٧٤.

دون المشركين، ولا يخالطكم مشرك؛ لانَّ الله سبحانه أنزل بعده ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[1]، وقال الفراء: وهي آخر آية نزلت، وهذا الذي ذكره لو صحَّ لكان لهذا القول ترجيحٌ، لكنْ فيه خلاف.

القول الثالث: إنَّ معناه اليوم كفيتكم الأعداء، وأظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك، وكمل لنا ما نريد، بأنْ كفينا ما كنَّا نخافه، عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السَّلام أنَّه إنَّما أنزل بعد أن نصب الرَّسول صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام للأنام، يوم غدير خم منصرفه عن حِجَّة الوداع، قالا: «**وهو آخر فريضة أَنزلها الله تعالى، ثمَّ لم ينزل بعدها فريضة**».

وعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا نزلت هذه الآية، قال: «**الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، وولاية عليِّ بن أبي طالب من بعدي**»، وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاده، وانصر من نصره، واخذل من خذله**».

القول الرابع: ذهب علماء أهل السُّنَّة والجماعة إلى أنَّ المُراد منه هو اكتمال الدين بجميع تشريعاته، وقد بيّن الإسلام جميع الأحكام ولم يبقَ حكم لم يُذكر، فانتهى عصر التشريع بنزول آية الإكمال[2]، ولم يقبل علماء الشيعة بهذا القول لوجود عدَّة إشكالات ترد عليه[3].

القول الخامس: وأجمع علماء الشيعة على أنَّ إكمال الدين كان بإعلان الرَّسول صلى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام تبعاً للروايات الواردة عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام[4].

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٦.
(٢) ينظر: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/ ٢٧٤.
(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٥/ ١٩٨.
(٤) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٢٩٠.

* ﴿ وَ ﴾: (الواو): حرف عطف، ﴿ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾: مثل ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، والمُلاحظ في هذا النَّص الكريم أنَّ الله جلَّ اسمه خاطب المؤمنين بأنَّه أتمَّ النعمة عليهم بإظهارهم على المشركين، ونفيهم عن بلادهم، وقيل: معناه أعطيتكم من العلم والحكمة، ما لم يُعطَ قبلكم نبيٌّ ولا أُمَّة، وقيل: إنَّ تمام النَّعمة دخول الجنَّة[1].

ولا بُدَّ مِن القول إنَّ ثمَّة فارقاً ما بين الإكمال والإتمام: إنَّ الإكمال، لا ينطوي الشيء على جزء ناقص ليُقَال له غير تام، فقد لا يكون الشيء ناقصاً وليس له جزء يتممه، ولكنَّه مع ذلك هو غير كامل حتى الآن.

مثلاً: الجنين في بطن أُمَّه، فهو يصل إلى حدِّ التمام، إذ تتم أجزاؤه ويستوي هيكله، ثمَّ يُولد ويكون طفلاً تاماً، ولكنَّه لا يكون إنساناً كاملاً، أي لا يتحلى بذلك النضج الذي يجب أن يتحلى به الإنسان، وعملية النضج هي شيء يختلف عن كون الشيء يفتقر إلى جزء ناقص[2].

أمَّا الإتمام هو: آخر أجزاء الشيء المتتابعة بعضها وراء بعض، إذ يُقَال لذلك الشيء إنَّه ناقص إذا لم تترتب أجزاؤه كلُّها، فإذا ما انضمَّ إليها أجزاؤها الأُخر، حتى آخر جزء، نقول تمَّ ذلك الشيء.

مثلاً: البناية، لا يقال لها تمت وإنْ وضعت لها القواعد ورفعت الجدران والسقف، وإنَّما يُقَال لها تمت إذا استوفت جميع المستلزمات الضرورية التي تدخل في مقوماتها حتى تكون صالحة للاستخدام، فعندما تكون جاهزة للسكن يُقَال لها تمت[3].

وفي ضوء هذين المعنيين نستنتج أنَّ الإسلام لَمَّا بَلَغ حدَّ الكمال، فإنَّ مثل هذا الإسلام هو الدين الإلهي المرضيّ، وإنَّ الدين الذي يريده الله، هو هذا الإسلام التامُّ

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣/ ٢٧٥.
(٢) ينظر: مفردات الراغب الاصفهاني، مع ملاحظة العاملي: ٦٤٠-٦٤١.
(٣) مفردات الراغب الاصفهاني، مع ملاحظة العاملي: ١٧٥.

الكامل.

* ﴿ وَ ﴾: (الواو): حرف عطف، ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾: مثل ﴿ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾، وديناً: حال منصوب، والمُراد من هذا النَّص الشريف (رضيت لكم الإسلام لأمري، والانقياد لطاعتي، على ما شرّعت لكم من حدوده وفرائضه، ومعالمه، ديناً: أي طاعةً منكم لي، والفائدة في هذا أنَّ الله سبحانه، لم يزل يصرف نبيَّه محمداً وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه، درجة بعد درجة، ومنزلة بعد منزلة، حتى أكمل لهم شرائعه، وبَلَغَ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثمَّ قال: رضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم، فالزموها ولا تفارقوها، ثمَّ عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل، وإنَّما ذكر قوله ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ اعتراضا)[1].

سبب نزول الآية ومكانها وزمانها:

مَنْ يتتبع كتب التفسير وأسباب النُّزول يجد هناك خِلافاً كبيراً في سبب ومكان وزمان نزول آية الإكمال بين الشيعة والسُّنَّة، وكذلك وقع هذا الخلاف بين أعلام أهل السُّنّة أنفسهم، فنشأت أقوال كثيرة من قِبَلِهم أغلبها بعيدة عن الحقيقة وتجافي الصواب، من هذه الأقوال:

١ـ أهل البيت عليهم السلام:

قال جملة من المعصومين عليهم السلام إنَّ هذه الآية المباركة نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، عندما رجع الرَّسول صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، فأمر الله تعالى رسوله الكريم أنْ يوقف المسلمين في غدير خم ويبلغهم ولاية عليٍّ عليه السلام، فأوقفهم وبلَّغهم ما أمره به ربُّه.

(١) مجمع البيان: ٣/ ٢٧٥.

عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنَّا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مَقدَمِنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النَّاس فيها، فدخلتُ على سيدي عليه السلام، فأعلمته خوض النَّاس فيه، فتبسم عليه السلام ثمَّ قال: «**يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يقبضِ نبيَّه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلِّ شيء، بيَّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه النَّاس كملاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1]، وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ صلى الله عليه وآله حتى بيَّن لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقِّ، وأقام لهم علياً عليه السلام عَلَماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة إلَّا بيَّنه، فمن زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به...**»[2].

٢- أهل السُّنَّة والجماعة الموافقون لقول أهل البيت عليهم السلام:

قولهم ينص على أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله دعا علياً عليه السلام وأصعده معه على المنبر ورفع يده حتى بان بياض إبطيهما وبلَّغَ الأُمَّة ما أمره الله تعالى فيه، وأمر المسلمين أنْ يهنؤوه ويبايعوه، وقال له عمر بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة...، عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: إنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله يوم دعا النَّاسَ إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقُطع، وذلك يوم الخميس، ثمَّ دعا النَّاسَ إلى عليٍّ، فأخذ بيده فرفعها حتى نظر النَّاس إلى بياض إبطيه، فهنّأه الموجودون ومن بينهم عمر بن

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) الكافي، الكليني: ١/ ١٩٨، ولمزيد من الأمثلة، ينظر: مجمع البيان: ١/ ٢٨٩.

الخطاب، فقدم إليه وقال له: بَخٍ بَخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة...، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

٣- قول عمر ومعاوية إنَّها نزلت يوم عرفة:

نصَّ بعض علماء أهل السنّة على أنَّ آية إكمال الدين نزلت بعد خطبة الرَّسول ﷺ، ولكنَّ أكثر علمائهم لم يقبلوا أحاديث نزولها يوم الغدير؛ والسبب أنَّهم أخذوا بقول عمر ومعاوية، إنَّها نزلت يوم عرفة! فحديث الغدير عندهم محلَّ إجماع ونزول آية إكمال الدين فيه محلَّ خلاف.

روى البخاري: أنَّ رجلاً من اليهود وهو (كعب الأحبار) قال: لعمر: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: أيَّةُ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبيِّ ﷺ وهو قائم بعرفة، يوم جمعة[2].

وقال ابن جرير عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال: قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أُنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه! فقال عمر: أيُّ آيةٍ يا كعب؟ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أُنزلت والمكان الذي أُنزلت فيه، نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ... وقال ابن جرير.. حدثنا عمرو بن قيس السكوني أنَّه سمع

(١) ينظر: المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي: ٩٤، ولمزيد من الأمثلة ينظر: الدُّر المنثور: ٢/ ٢٥٩، الغدير، العلامة الأميني: ١/ ٢٣٠.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١٦، ولمزيد من الأمثلة ينظر: الدُّر المنثور: ٢/ ٢٥٩، الإتقان: ١/ ٧٥.

معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾، حتى ختمها فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم جمعة[1].

ثمَّ قال ابن كثير: قلت: وقد روى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري أنَّها نزلت على رسول اللهﷺ يوم غدير خم حين قال لعليٍّ: من كنت مولاه فعلي مولاه. ثمَّ رواه عن أبي هريرة، وفيه أنّه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعهﷺ من حجة الوداع، ولا يصح لا هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية أنَّها أُنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة كما روى ذلك عمر بن الخطاب، وعليُّ بن أبي طالب، وأوَّل ملوك الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقتادة بن دعامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء[2].

* لكلِّ قارئ منصف يجد أنَّ قول عمر ومعاوية يجافي ويحايدهُ الصواب، وأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم الغدير لا في عرفات، وهذا يقودنا إلى جملة من الاعتراضات.

وأُجمل هذه الاعتراضات الآتي:

أَوَّلاً: من يتتبع تاريخ حجَّة الوداع يجد كثيرًا من المحدثين الذين رووا عن خروج الرَّسول الكبير المهيب، الذي تمَّ بإعلانٍ ربانيٍّ مسبق، وإعدادٍ نبويٍّ واسع، وسجلوا حركة الرَّسولﷺ من المدينة، والأماكن التي مرَّ بها أو توقف فيها، ومتى دخل مكَّة وأدَّى المناسك، ثمَّ حركة رجوعهﷺ حتى دخل إلى المدينة وكم عاش فيها من بعد رجوعهﷺ، فكلُّ هذه الروايات والأحاديث تفند ما رواه عمر ومعاوية وتؤكد قول أهل البيتعليهم السلام.

ثانياً: إنَّ رواية عمر ومعاوية تتعارض تماماً مع رواية أهل البيتعليهم السلام، ويكون هذا

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤.

(٢) المصدر نفسه.

التعارض بين قول صحابي وقول أئمة أهل البيت عليهم السلام، وممَّا لا ريب فيه أنَّ قول أهل البيت مقدَّم بحكم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بهم وأنَّهم عِدْلُ القرآن وأحد الثقلين، عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

ثالثاً: إنَّ قول عمر في الآية متناقض، فقد فَهِمَ اليهودي من الآية أنَّ الله تعالى أكمل تنزيل الإسلام وختمه يوم نزول الآية، ومعناه أنَّ نزولها بعد نزول جميع الفرائض والأحكام، فصحَّ عنده ما قاله أهل البيت عليهم السلام.

رابعاً: إنَّ هناك من الرواة من جزم أنَّ هذه الآية نزلت يوم الإثنين وليس يوم الجمعة، عن ابن عباس قال: ولد نبيّكم صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، ونبئ يوم الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، وفتح مكة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وتوفي يوم الإثنين(٢)، وجاء في الزوائد: يوم فتح بدر يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٣).

الإشكال عليهم بأحاديث نزول الآية يوم الإثنين، إلزامٌ لهم بما صححوه، وإلَّا فالمعتمد عند الشيعة الإماميَّة أنَّها نزلت يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة وأنَّ وفاته صلى الله عليه وآله كانت في الثامن والعشرين من صفر، فتكون الفاصلة بينهما نحو سبعين يوماً، وكذا عند الشيعة الإماميَّة أنَّ بعثته صلى الله عليه وآله كانت يوم الإثنين وصلَّى عليٌّ عليه السلام معه يوم الثلاثاء، ووفاته صلى الله عليه وآله يوم الإثنين، وقد تكون سورة المائدة نزلت يوم الإثنين أي أكثرها، ثمَّ بقيتها

(١) المسند، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): ٣/ ١٧، و٢٦، و٥٩، ٤/ ٣٦٦، و٣٧١، صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج (٨٧٥هـ): ٧/ ١٢٢.

(٢) ينظر: دلائل البيهقي: ٧/ ٢٣٣.

(٣) ينظر: الزوائد: ١/ ١٩٦.

ومنها آيتا التبليغ وإكمال الدين.

خامساً: إنَّ عيد المسلمين يوم الأضحى وليس عرفة، لكنَّ عمر جعله يوم عرفة، وهو بميزان الوهابية بدعة.

سادساً: لو كان يوم عرفة يوم جمعة كما جاء في رواية عمر ومعاوية، لصلَّى الرَّسولﷺ بالمسلمين صلاة الجمعة، بينما لم يروِ أحدٌ أنَّهﷺ صلاها في عرفات، وأجمعوا على أنَّه صلَّى الظهر والعصر، كما رُوِي فيه عن جابر بن عبد الله قال: سار رسول اللهﷺ حتى أتى عرفة... ثُمَّ أذن بلال ثُمَّ أقام فصلَّى الظهر ثُمَّ أقام فصلَّى العصر ولم يصل بينهما شيئاً[1]، ووضع النسائي وفي سننه عنواناً باسم (الجمع بين الظهر والعصر بعرفة)[2].

لو كان عرفة يوم جمعة ولم يصلها الرَّسولﷺ، لَذَكَرَ ذلك أُلوف المسلمين الذين حضروا حجَّة الوداع.

سابعاً: روى أبو هريرة أنَّ الرَّسولﷺ أمرهم أنْ يصوموا يوم إكمال الدين شكراً لله تعالى، قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لَمَّا أخذ النبيُّﷺ بيد عليِّ بن أبي طالب فقال: «**ألستُ وليَّ المؤمنين؟**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم! فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3].

وهذه الرواية تُناقض ما جاء به عمر ومعاوية، بأنَّ آية إكمال الدين نزلت يوم عرفة من يوم الجمعة.

ثامناً: عن ابن جريج قال: مكث النبيُّﷺ بعد ما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السَجِسْتاني (ت٢٧٥هـ): ١/ ٤٢٩.

(٢) ينظر: سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ): ١/ ٢٩٠.

(٣) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت٥٧١هـ): ٤٢/ ٢٣٣.

ليلة[1]، ففي هذه الرواية التي نقلها كثيرٌ من علماء الطرفين نستنتج أنَّ قول عمر ومعاوية ينفي أنْ يكون يوم عرفة يوم جمعة، فوفاة الرَّسول صلى الله عليه وآله عند أهل السُّنة والجماعة في الثاني عشر من ربيع الأوَّل، فيكون من ٩ ذي الحجة إلى ١٢ ربيع الأوَّل أكثر من تسعين يوماً! وهذا يؤدي إلى احتمالين: إمَّا أنْ يوافقوا على رواية وفاته قبل ذلك وأنَّها في ٢٨ صفر، أو يوافقوا على نزول الآية يوم الغدير ١٨ ذي الحجّة.

تاسعاً: القول بأنَّ يوم عرفة كان يوم جمعة، تنفيه الروايات التي سجلت حركة الرَّسول صلى الله عليه وآله من المدينة وأنَّها كانت الخميس لأربعٍ بقين من ذي القعدة، وهو المشهور عن أهل البيت عليهم السلام، وهو منسجم مع تاريخ نزول الآية في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة، فسفر الرَّسول صلى الله عليه وآله كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة، لأربعٍ بقين من ذي القعدة هي: الخميس والجمعة والسبت والأحد.. فيكون أوَّل ذي الحجة الإثنين، ووصول الرَّسول صلى الله عليه وآله إلى مكَّة عصر الخميس سلخ الرابع من ذي الحجة[2]، ويوم عرفة الثلاثاء، والغدير الخميس الثامن عشر من ذي الحجة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين حجَّة**...»، إنَّ رسول الله أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثُمَّ أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[3]، فأمر المؤذنين أنْ يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحجّ في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب... فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربعٍ بقين من ذي القعدة، فلمَّا انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل... حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربعٍ من ذي الحجَّة

(١) الدُّر المنثور: ٢/ ٢٥٩، ينظر: شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ): ٢/ ٢٥٧، تفسير الطبري: ٤/ ١٠٦، المجموعة شرح المهذّب، يحيى بن شرف النووي محي الدّين أبو زكريا: ٧/ ٣، الغدير، العلامة الأميني: ١/ ٢٣٠.

(٢) ينظر: الكافي، الكليني: ٤/ ٢٤٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٧.

فطاف بالبيت سبعة أشواط[1].

وعن أبي سعيد أنَّ رسول الله ﷺ دعا النَّاسَ إلى عليٍّ عليه السلام بغدير خم، وأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فَقُمَّ، وذلك يوم الخميس، ثمَّ دعا الناس وأخذ بضبعيه ورفعه حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه، ثمَّ لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي وبالولاية لعليٍّ من بعدي**»[2].

وقيل إنَّ سفر الرَّسول ﷺ كان الخميس، وما روته مصادر الفريقين من أنَّه ﷺ كان لا يبدأ سفره إلَّا يوم خميس، أو قلَّما يبدأه في غيره[3]، وهذا ما يؤيد روايات أهل البيت عليهم السلام.

وإنَّ مدة سيره ﷺ من المدينة إلى مكة لا تزيد على ثمانية أيامٍ، وذلك بملاحظة الطريق الذي سلكه، وهو في حدود ٤٠٠ كيلومتر، وملاحظة سرعة السير حتى أنَّ بعض النَّاس شكوا له تعب أرجلهم فعلَّمهم الرسول ﷺ أنْ يشدوها، وأنَّ أحداً لم يرو توقفه في طريق مكة قط.

وبذلك تسقط رواية خروجه من المدينة لستٍّ بقين من ذي الحجة[4].

ومن هذا كلِّه نستشف أنَّ رأي أهل البيت عليهم السلام ومن وافقهم في سبب نزولها من دون معارض معتدٍّ به، وذلك بسبب ما أثبتناه عن طريق الأُمور العقلية، أو الروائية.

(١) ينظر: الكافي، الكليني: ٤/ ٢٤٥.

(٢) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري: ١١٩.

(٣) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمّد بن محمّد بن محمّد بن سيد الناس: ٢/ ٣٤١، صحيح بخاري: ٤/ ٦، سنن أبي داود: ١/ ٥٨٦.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري: ٣/ ١٤٨، تاريخ الذهبي: ٢/ ٧٠١.

المبحث الثالث

الآية الأولى من سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

عندما تحركت قافلة النبوة من غدير خم راجعة إلى المدينة المنورة، سَكَنَ قلب الرَّسولﷺ، واطمأن؛ لأنَّه بَلَّغَ رسالة ربِّه، لكنَّ قلوب قريش كانت تغلي من الغيظ لاجتماع النبوة والخلافة في بيتٍ واحدٍ، وهذا ما لا يقبلون به؛ لترى قريش نفسها أنَّها أفاقت بعد سكرة، فأخذت بالنَّشاط، وأخذوا يدبرون المكائد لرسول اللهﷺ، بل حاولوا حتى قتله، هنا استعمل الله تعالى أُسلوباً آخر لعصمة نبيِّهﷺ من قريش، هو كشف مؤامرتها لقتله بعد الجحفة في عقبة هرشى، وكانت نسخة عن مؤامرتها في عقبة تبوك، كما استعمل الله أُسلوب العذاب السماوي الذي لا تفهم قريش غيره تماماً كاليهود مع أنبيائهمعليهم السلام، وقد روت مصادر السُّنَّة والشيعة عدَّة أسماء للأشخاص الذِّين اعترضوا على إعلان الرَّسولﷺ ولاية أمير المؤمنين عليٍّعليه السلام في غدير خم وهم: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، والحارث بن النعمان الفهري، وعمرو بن عتبة المخزومي، والنضر بن الحارث الفهري، والحارث بن عمرو الفهري، والنعمان بن الحارث اليهودي، والنعمان بن المنذر الفهري، وعمرو بن الحارث الفهري، ورجل من بني تيم، ورجل أعرابي.. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة[1].

(١) إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري: ٦/ ٣٥٨، شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٨١.

وحادثة الغدير هي: أنَّ أحد القرشيين، أو أكثر من شخص، اعترض على الرَّسولﷺ، واتهمه بأنَّ إعلانه علياًعليه السلام ولياً على الأُمَّة، كان عملاً من عنده وليس بأمر ربه عزَّ وجلَّ، ولم يقتنع القرشي بتأكيد الرَّسولﷺ له أنَّه ما فعل ذلك إلَّا بأمر ربِّه عزَّ وجلَّ، وخرج من عند الرَّسولﷺ غاضباً مغاضباً، وهو يدعو الله بدعاء قريش أنْ يمطر الله عليه حجارة من السماء إنْ كان هذا الأمر حقاً من عنده، فرماه الله بحجرٍ من السماء فأهلكه، وهذه الحادثة تعني أنَّ الله استعمل التخويف مع قريش أيضاً، ليعصم رسولهﷺ من تكاليف حركة الردّة التي قد تُقْدِم عليها، ويتعزز عند زعمائها الاتجاه القائل بفشل المواجهة الحسيَّة مع الرَّسولﷺ، وضرورة الصبر حتى يتوفاه الله تعالى[1].

جاء في مناقب آل أبي طالب: لَمَّا بَلَّغَ رسول اللهﷺ بغدير خم ما بَلَّغ وشاع ذلك في البلاد، أتى الحارث بن النعمان الفهري وفي رواية أبي عبيد: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمَّد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وبالصَّلاة والصَّوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثمَّ لم ترضَ بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمِّك ففضلته علينا وقلت: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فهذا شيء منك أَم من الله؟ فقال رسول اللهﷺ: «**والذي لا إله إلَّا هو، إنَّ هذا من الله**»، فولى جابر يُريد راحلته وهو يقول: اللهمَّ إن كان ما يقول محمَّدٌ حقاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[2].

وعن سفيان بن عيينة، سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، فيمن نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، حدثني أبي عن

(١) ينظر: الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، العلامة الأميني: ١/ ٢٣٩، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني: ٢/ ٢٤٠.

جعفر بن محمَّد عن آبائه رضي الله عنهم: «أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا كان بغدير خم نادى النَّاس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليٍّ رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فشاع ذلك فطار في البلاد، وبَلَغَ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها، وقال: يا محمَّد أمرتنا عن الله عزَّ وجلَّ أن نشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصوم رمضان وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمِّك تفضله علينا فقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه...»[1].

مفردات الآية ومعانيها

* ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾: سَأَلَ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، وسَائِلٌ: فاعل مرفوع، وفي هذا النص من الآية الشريفة أقوال عدَّة منها:

الأَوَّل: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ :أي: دعا داعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ مِنْ الله، وهذا من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾[2]، وعلى هذا القول تقدير باء الإسقاط، لتصبح الآية: سأل سائل عذاباً واقعاً، فأكَّد بالباء كقوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[3].

الثاني: عندما بُعِثَ الرَّسول ﷺ وخوَّفَ المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض: سلوا محمداً لمن هذا العذاب وبمن يقع، فأخبره الله عنه بقوله: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ

(١) إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري: ٦/ ٣٥٨، شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ٢/ ٣٨١.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٥. ينظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت١١٩٥هـ): ١٩/ ٢٨٧.

﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، والتأويل على هذا القول: سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ عَذَابٍ والباء بمعنى عن[1].

الثالث: هذا السائل قيل: هو النضر بن الحارث، إذ قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة بن أبي معيط، لم يقتل صبراً غيرهما، وقيل: إنَّ السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري، وذلك أنَّه لَمَّا بلغه قول الرَّسولﷺ في عليٍّعليه السلام: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح...، وقيل: إنَّ السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك، وقيل إنَّه قول جماعةٍ من كفار قريش، وقيل: هو نوح على نبيّنا وآله وعليه السَّلام سأل العذاب على الكافرين، وقيل: هو رسول اللهﷺ أي دعا بالعقاب، وطلب أنْ يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لا محالة، وامتدَّ الكلام إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[2]، أي لا تستعجل فإنَّه قريب[3].

* ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: بِعَذَابٍ: جار ومجرور متعلقان بـ(سَأَلَ)، وَاقِعٍ: صفة، وفي هذا النص الشريف وجهان: أَوَّلاً: إن فُسِرَ قوله تعالى: كما ألمعتُ من أنَّ النضر طلب العذاب، كان المعنى أنَّه طلب طالب عذاباً هو واقع لا محالة سواء طلب أو لم يطلب، وذلك لأنَّ العذاب نازل على الكافرين في الآخرة

واقع بهم لا يدفعه عنهم أحد، وقد وقع بالنضر في الدنيا، وهو المُراد من قوله ليس له دافع.

ثانياً: أمَّا إذا فُسِرَ قوله تعالى بأنَّهم سألوا الرَّسولﷺ، أنَّ هذا العذاب بمن يُنزَل؟ فأجاب الله تعالى عنه بأنَّه واقع على الكافرين.

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ٣٥٢.

(٢) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي: ١٨/ ٢٧٨.

سبب ومكان وزمان نزول الآية:

نزلت هذه الآية الكريمة في أحد القرشيين، وقد اختلف فيه كما ألمعتُ آنفًا، وعلى الأرجح هو جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري الذي كان يقول: إنّ محمداً يخوفنا ويهددنا بالعذاب في الدنيا والآخرة؛ فلماذا ننتظره؟ أي أنّه استعجل العذاب ودعا على نفسه كما أخبر بذلك القرآن الكريم في سورة الأنفال قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]، فأنزل الله به ما استعجل من العذاب يوم غزوة بدرٍ فقُتِلَ صبراً ثُمَّ نزل فيه قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[2].

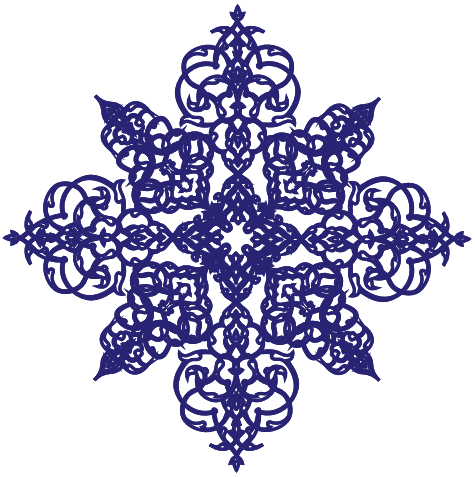

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب: ١/ ٢٣٩، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/ ٣٥٢.

الخاتمة

بعد هذا التجوال في رحاب الآيات التي نزلت في واقعة الغدير، واستنطاق نصوصها التي وردت فيها، أختم البحث بجملة نتائج أدرجها على الآتي:

١- بلحاظ آية التبليغ نتوصل إلى أنَّ الله تعالى أوجب على رسولهﷺ أن يُبَلِّغ أمر تنصيب عليِّ بن أبي طالبؑ خليفةً، ووليّاً، وإماماً من بعده.

٢- إنَّ تنصيب عليِّ بن أبي طالبؑ خليفةً، ووليّاً، وإماماً على المسلمين من بعد الرَّسولﷺ، كان من قِبَل السماء وبِوَحيٍ من الله جلَّ اسمه كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾.

٣- بيَّنَ البحث أهمية وعظمة الإعلان عن الخليفة، والولي، والإمام بعد الرَّسولﷺ، وهذه الشأنية يكشفها قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾، إذ قَرَنَ وسَاوَى بين تبليغ أمر الخلافة، والإمامة وتبليغ كلِّ الرسالة.

٤- كما كَشَفَ البحث عن وجود شريحة تدَّعي أنَّها مِن صحابة الرَّسولﷺ، وهي ترفض إمامة وخلافة عليِّ بن أبي طالبؑ بنصٍّ مِن السماء وبوحي مِن الله جلَّ ذكره، وهذه الشريحة هي التي كان الرَّسولﷺ يخشى منها، إذ طمَّنه الله تعالى بأنّه سوف يعصمه منها.

٥- أسفر البحث عن أنَّ الله تعالى أَبلَغَ رسولهﷺ أنَّ يُبلّغ بخلافة عليِّ بن أبي طالبؑ قبل نزول آية التبليغ؛ لذا جاءت آية التبليغ وهي تحمل سياق الأمر ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ والتهديد ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾، فالمانع الذي منع رسول اللهﷺ من تأجيل تبليغ أمر الخلافة، هو الخشية من النّاس، وبالتحديد من هؤلاء الذّين يدَّعون أنَّهم صحابة الرَّسول المقربون، فخشيتهﷺ تكمن في عدم تقبّلهم هذا الأمر الذي بلَّغَ به، وهذا المعنى يُدلّل عليه قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، إذ يُطَمئِن الله جلَّ ذكره رسولهﷺ، بأنَّه هو

الذي سيتكفل بأمر النّاس وردّات فعلهم اتجاه الأمر الذي وَجَبَ عليهﷺ تبليغه.

٦- بَيَّنَ البحث أنَّ الكفار قد يَئسوا من المسلمين تماماً، بأن يردوهم إلى دينهم؛ والسبب في ذلك أنَّ ربَّ العزة والكمال نصَّب مَن يقوم مقام رسولهﷺ في حفظه رسالته وتدبير أمرها وإرشاد الأُمَّة الإسلاميّة نحو الصواب، فيتعقب ذلك يئس الذين كفروا من دين المسلمين.

٧ كما كشف البحث أنَّ ولاية المولى تعالى لا تتم إلَّا بولاية رسوله، وولاية رسولهﷺ لا تتم إلَّا بولاية وليه من بعده، وهي تدبيرهم للأُمور الدينية للأُمَّة الإسلامية.

٨- إنَّ كمال الدين مِن جهة أحكامه ومعارفه، وإنْ بَلَغَ ما بَلَغَ لا يقوى بنفسه على حفظ نفسه أي خروج الدين من مرحلة القيام بالحامل الشخصي (الرسول) إلى مرحلة القيام بالحامل النوعي(الإمام) فيكون ذلك إكمالاً للدين بتحويله من صفة الحدوث إلى صفة البقاء.

٩- بَيَّنَ البحث أنَّ انتخاب الخلافة لرسول اللهﷺ تكون مِنْ قبل الله تعالى وحده لا من السقيفة وغيرها.

١٠- إنَّ مسألة رحيل الرَّسولﷺ دون استخلاف أحد، لمهمة حفظ الإسلام تشترط العصمة وعلمه بكامل مضمون القرآن، حتى لا تتعطل الحدود والأحكام وإحياء أمر الجاهلية؛ لذا فإنَّ الرَّسولﷺ لم يمت حتى وَرَّثَ علمه وصياً يقوم مقامه؛ لئلا يكون للنَّاس على الله حجة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، مع تعليق آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، د. ت.

٣. أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ت.

٤. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٢هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٥. الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (قم)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٧ ش.

٦. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط١، ١٤٣٠م.

٧. تاريخ أبي الفداء (المختصر في إخبار البشر)، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢ هـ)، علق عليه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.

٨. تاريخ الأُمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الأميرة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٩. تاريخ المدينة، عمر بن شبة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٠. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، د. ت.

١١. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان أثير

الدين، المحقق: عادل أحمد – علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٢. تفسير العياشي، محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (المتوفى ٣٢٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٣. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد السَّلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٤. تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن)، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتاب الرياض، د. ت.

١٥. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمِّي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم –إيران، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٦. جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٨٨٦هـ ١٩٤٤م.

١٧. الجوهر الثمين في تفسير كتاب الله المبين، السيد عبد الله شبر، مكتبة الألفين، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٨. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمّد الحنفي – مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، المحقق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ط، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

١٩. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٠. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، د. ت.

٢١. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د. ت.

٢٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٣. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٤. السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، المحقق: عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٥. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.
٢٦. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العَقِيلي المصري الهمذاني، حققه وعلق عليه: السيد علي الحسيني، انتشارات دار العلم، إيران قم، ط٣، ١٤٣٤ ش.
٢٧. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمداوي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٢٨. صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، سوريا - دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، المحقق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م.
٣١. في الكتاب والسنَّة والأدب، السيد عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٢. قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة أنصار الله، ط١، ١٤٢٤هـ.
٣٣. الكافي في علم الصرف، د. فراس عبد العزيز عبد القادر الكداوي ود. عبد الوهاب محمد علي العدواني، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د. ط، د. ت.

٣٤. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.
٣٥. الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، طبعة دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م.
٣٦. الكتاب (كتاب سيبويه)، أبو بشير عمرو بن عثمان قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م
٣٧. لسان العرب، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرَّم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: ياسر سلمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، مصر، د. ت.
٣٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: محمد جواد البلاغي، انتشارات ناصر خسرو، طهران – إيران، ط ٣، ١٣٧٢ ش.
٣٩. المراجعات: الإمام شرف الدين عبد الحسين الموسوي، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف د. ت.
٤٠. المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
٤١. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العلامة محمد بن جرير الطبري الإمامي، تحقيق: الشيخ أحمد المحمداوي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، إيران قم، ط١، ١٤١٥ هـ. ق.
٤٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض.
٤٤. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أُم القرى – مكة المرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
٤٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،

ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٤٦. مفردات الراغب الأصفهاني مع ملاحظات العاملي، دار المعارف للطباعة والنشر.
٤٧. المقتضب، أبو عباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م
٤٨. المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمداوي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران – قم، ط٢، ١٤١١هـ. ق.
٤٩. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
٥٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

علیه